الطواحـــين

قصيدة فلسفية

دكتور

حامد طاهر



إهـــداء

.. إلى المستشرقة الفرنسية

جانفيف جوبيّو

تقديراً لجهودها فى كشف كنوز التصوف الإسلامى ، وبخاصة لدى الحكيم الـــترمذى ، الذى مازالت كلماته توحى إلينا بالكثير ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

٠٠ مهما حاولت أن أبرر نشر هذه القصيدة ، المتعـددة المقاطع ، فلن أجد مايقنع القارئ سوى أن أصارحه بالحقيقة ، وهى أننى كنت قد توقفت عن كتابة الشعر لفـــترة طويلـــة ، بسبب انغماسى فى العمل الإدارى بجامعة القاهرة كعميد لكلية دار العلوم ، لكننى لم أتوقف أبـــداً عـــن الأســـى والأســـف لابتعادى عن الشعر ، أو بالأصح لابتعاد الشعر عنى ٠٠

وفجأة وجدته يأتى فى صورة مقطعات قصيرة ، رحـت أكتبها فى البداية غير مصدق أنها سوف تســـتمر وتتـــابع ٠ لكننى عندما وجدت التيار الشعرى مندفعا ، تركت نفسى له ، ثم بدأ القصد يتدخل ، والثقافة تقوم بدورها ، حتى انتهيت من كتابة أربعة وعشرين مقطعا ، يدور كل منها حول إحســـاس نحبه ، أو نزعة نكرهها ، أو هدف نتطلع إليــــه ، أو واقـــع نتجنب الحديث عنه ٠٠

ولابد من الاعتراف أن الشعور فى هذه القصيدة يختلـط بالفكر ، بل إنه يمتزج به امتزاجا كاملا ٠ وهذا المزيج هـــو مايمثل فى النهاية خلاصة مركزة ، أرجو أن تكون فى نفـس الوقت جميلة ، لرؤية إنسان مصرى ، عاش عددا محدودا من التجارب الإنسانية ، وقضى معظم ســـنوات عمــره ، فـــى النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠

القاهرة فى أكتوبر ١٩٩٩

حامد طاهر

المـــال

عفّــرتُ وجهــى فــى تــراب ترابهِ
ووقفــتُ أيامـــى علــى أعتابـــهِ
أرجــو وآمــل أن تنــال رغائبــى
منـــه ، وأحظــى بالرضـــا من بابه
حتـــى إذا سمحت يـــداه ، تدفقــت
أنهـــاره ، وغـــدوت قيــد ركابـــه
كانـــت سنينـــى قد تكسّر عــودها
والقلـــب أقفـــر مـــن رؤى أحبابـــه
ووقفـــت أهمـــس فى الذين تجمعوا
حولـــى : أنـــا ياقـــوم لم أسعدْ به

* *

الفقـــر

في الفقــر تنكسر القلوب وينحنـــي
جبــلُ الإبــاء علـــى ثـــرى إخفاقهِ
مهمــا تماسكــت الكرامـــة إنهـــا
مهزومـــة فـــي دربـــه وسباقـــــه
وأشـــد ما يجنـــي الفتـــي من فقره
أنّ الصديـــق يفـــرّ دون عناقــــــه
والناس تجفـــوه ، وتلفظـــه الرؤى
حتـــى الدمـــوع تجـــف من أحداقه
إنـــي بلـــوت صباحـــه ومســـاءه
وعرفـــت ذل الأســـر فـــي أطواقه
الفقـــر سرداب يـــؤدي للـــــردى
ويجـــــرد الإنســـان مـــن أخلاقه

* *

السلطة

يتطــاول الإنســـان رغــم قصوره
ليحــوز حــق الله فـــى عليائــهِ
ولو استطاع لقال "كُنْ" ، وتحكمتْ
كفــاه فــى سيــر السحاب ومائــه
ويظــل يصعــد فـــى ذرى أهوائه
ويظــن أن الخلــد مــن أسمائـــه
الأرض مانصبــت ســوى لمروره
والنـــاس ما وجدوا سوى لرضائه
ينهــى ويأمـــر ، لامعقّــب بعــده
متوحــداً فــى صبحــه ومسائـــه
حتـــى يفاجــأ بانهيــار شموخــه
ويــداس فيمـــا ديــس من نظرائه

*   *

الشبـــاب

أطفلـــت فى دنيـــا الشباب كتائبـــى
وركـــزت رايـــاتى علـــى الآفـــــاق
ما كـــان ثَمّـــةَ مايخيف على الربى
كـــلا ، ولا فى أعمـــق الأعمـــاق
كـــل الفضائـــل والرذائـــل ساحـــة
مفتوحـــة دونـــى ، ودون رفاقـــى
نمتاح من كأس الحياة ، وكأسهـــا
صـــاف ، بـــلا كـــدر ولا إمـــلاق
نقضـــى النهار مغامرين ، ونلتقى
لنـــرود مافـــى الليـــل من أسواق
كـــان الشبـــاب يمدنـــى بعصـــارة
أزهـــو بهـــا فـــرداً علـــى العشاق
واليوم حين سرى المشيب بمفرقى
أصبحـــت لا أقـــوى على الأشواق

*   *

الحب

الحب لا يأتي إلينا هينا
الحب يصعقنا بلا إنذار
هي نظرة مازلت أذكر لونها
ومكانها في هَذْأني ونهاري
راقت كأن الدهر ليس يشوبها
وتمكنت مني ، ومن أفكاري
وشعرت أني سابح ومحلّق
ماعدت مخلوقاً من الفخّار
طوفت بالسحب البعيدة ، واحتوت
كفّاي ما حملت من الأمطار
وسمعت موسيقى الفضاء، وأشرقت
شمسي ، وآلاف من الأقمار
واليوم تثقلني خطاي ، فلا أرى
إلاخيالات على الأسوار

*   *

الانتظـــار

النجــم فى كبــد السمــاء رصدتُــهُ
والصمت فى عمق الدجــى غربلتُهُ
ووقفت أصغــى للخطــى فى وقعها
حتــى اهتــزاز العشــب قد ميزّته
وعلى المدى علقُت مصباحى ، عسى
يبــدو الذى طــول السنين رجوته
كانــت ملامحــه تداعــب خاطــرى
ورؤاه تعبــث بالخيــال ، وصوته
وأتابــع الزمــن البطــىء يثيرنــى
إبطــاؤه ، وتهدنــــى دقاتــــــه
حتــى إذا وصل القطــار ، وأبطــأت
عجلاتـــه ، وتفتحــــت شرفاتــه
ظهر الذى لم أنتظره ‥ ولــم يجئ
ماعشــت آمله ، ومــا أحببته !!

* *

الطـــفـــولة

تتواثـــب الضحكات فـــى خطواتهـــا
ويشـــع نـــور الله مـــــن نظراتها
وتعيـــش أسعـــد لحظـــة فى روضها
وتطيـــر حالمــــــة علـــى ساحاتها
لا الأمـــس يقلقها ، ولا الغد موحش
والشمـــس دائمـــة على شرفاتها
ألعابهـــا هـــى كـــل ماترجـــوه مـــن
أيامهـــا ، فدعـــوا لهـــا لعباتهـــا
وتقبلوهـــا مثلما هـــى ، واحـــذروا
أصواتكـــم تعلـــــو علـــى أصواتها
هى درة العمـــر الجميـــل ، ومنحـــة
لاتستعـــاد ، فقـــــدروا نفحاتهـــا
مـــرت سحابتهـــا على قلبى نـــدى
مازلت ظمآنـــــاً إلـــى قطراتهـــا

*   *

الشـــك

هـــى نظرة ، هى لفتة ، هى نار
لا تستقـــر بلفحهـــا الأفكـــار
وأظل مشتعل الظنـــون ينوشنـــى
قلـــق ، ويهـــدم راحتـــى استنكار
أيـــن اليقين ؟ غشـــاوة وغبــــار
وتمــــزق وتلاطـــم ونفـــــار
وأقـــول : مـــاذا لو أكون مضللا
والعيـــن قد تخفى عليهـــا الـــدار
فتـــزورنى الأحلام صارمة الرؤى
ويزيـــد مـــن فـــوق الستار ستـــار
وأروح أبحـــث عـــن بقايا شمعة
يبـــدو علـــى ومضاتهـــا استقـــرار
فـــإذا بعقلـــى غائـــم ومشتـــت
طـــورا يفيـــق ، وتـــارة ينهـــار

*　　*

الصــداقة

عطــر الصداقــة مايــزال رحيقــه
في مهجتي ، وشذاه ملء مشاعرى
فيها قضيت طفولتـــى ، وقطفت كل
سعادتـــى ، وحرقــت كل مباخرى
أعطيتهم حـــر الـــولاء ، ورحت فى
خدماتهـــم أسعـــى بكـــل خواطـــرى
وبذلت مـــن روحى الكثير ، ولم أقف
مترقبـــا ، أرجـــو جـــزاء خسائرى
كانـــت صداقتهـــم ربيـــع مواسمـــى
ونسيـــم أيامـــى ، وفجـــر بشائرى
ودّعتهـــم فـــوق المحطـــات التـــى
نزلـــوا بهـــا أحـــداً وراء الآخـــر
ورجعـــت وحـــدى مثقـــلا بوداعهم
وهـــمُ خفافـــاً أبعـــدوا كالطائـــر

*　*

الحقـــــد

يسرى كطعم الملح فى فــم ظامــئ
ويــدبّ مثل الســم فى الأعضـــاء
وعلـــى ضيـــاء الشمس يلقى غيمةً
ويســـد وجـــه الأفــق بالظلمـــــاء
ويـــدور فى الأعماق ثـــوراً هائجـــا
فيـــدوس كـــل سكينــــــة وصفـــاء
ويظل يصرخ : ماالذى قسم الحظوظ
وأغـــدق الحســـنى على البلهاء ؟
وأنـــا أحـــق أم الذى لايستحـــق ؟
وكيـــف لا أرقـــى مـــع النظراء ؟
قابيل من بدء الخليقـــة .. خطـــه
دربـــاً لطائفـــة مـــن التعســـــاء

* *

السعـــادة

قالوا : الثراءُ ، فقلــت : قــد يتبدّدُ
وإذا طغــى أعمـــى ، وخانته اليدُ
قالوا :السيادة ، قلت : نزعة واهــم
والمـــرء محتـــرق بهـــا ومهــدّد
قالوا: الهوى والعشق ، قلت إلى متى؟
هـــى جــذوة تخبـــو ، ولاتتجدّد
قالوا : صحيح الجسم ، معتدل القوى
قلت : اختـــرام الـــداء لايتـــــردّد
قالوا : احتراف الفكر ، قلت : خديعة
الفكـــر قــد يؤذى السعيد ويفُسد
قالـــوا : إذن فلـــم الجميـــع متيـــّم
بجمالهـــا ، والكـــل ســـاعٍ مُجهَدُ
قلت : الطريق هو السعـــادة نفسُـــه
فتأمّلـــوه فـــى خطاكـــم تسعـــدوا

* *

الإيمـــان

ألقيــتُ فى بحــر الظنـــون سفينى
وطرقــتُ كــل شواطـئ التخميــنِ
وشككــت ، حتى فى وجودى نفسه
وجحــدتُ ، حتــى غاب كــل يقينى
غدت الحياةُ كئيبـــة ، والأمنيـــاتُ
مريضـــة ، والكـــونُ جـــدّ حزيـــن
لا الشمس تمنحنى الضياء، ولا الندى
يهمـــى علىّ ، ولا السما تحمينى
حتـــى تفجـــر فـــى كيانى فجـــأة
نـــور ، بلا كـــدر ولا تلويـــن
نور سرى فى كل جارحة ، فمـــا
أبقـــى لـــدىّ أثـــارة مـــن طيـــن
أصبحـــت إنسانـــا جديـــدا ، كلما
قابلـــت مخلوقاً بسطـــت يمينـــى

* *

الزهـــــد

أنقــذت مـــن متـــع الحياة حياتـــى
وغرقــت فى صومى وفى صلواتى
وحلمــت بالنـــور الـــذى لم ينبثق
إلا لمحتـــــرق علــــى مشكـــــاة
وظللت أمشى فى الصحارى مفــردا
وإذا أقمــــت قصـــدت جبانـــــات
ظهرت خوارق ، لـــم أكـــن متيقنـــا
أنى بهـــا قـــد صرت فى السادات
وتجمـــع النـــاس الذيـــن هجرتهم
يتلمســـون الخيـــر مـــن دعواتى
ما كنـــت أمنـــع قاصـــدا بمحبـــة
كـــلا ، ولامتوجعـــا بشكـــــاة
باركتهـــم ، فـــإذا بقلبـــى عالـــق
بحبالهـــم ، وحياتهـــم بحياتـــى !

* *

النجـــاح

الأرض تغرق فـــى الضياء ، وكلمـــا

يمّمتُ أفقـــا هـــلّ بالأفـــراح

وأحـــسّ أن الكـــون محتفـــل معـــى

وعلـــى رباه يـــرف ألـــف جناح

وأرى المصاعب قد تلاشـــى ظلُّهـــا

ماعـــدن إلا ذكريـــات كفـــاح !

وسعى المهنـــئ بالمديح ، وأبلست

شفتـــا حســـود بعـــد طـــول نباح

وجلست وحدى فى المساء أراقب الـــ

ـــقمر ، الذى قاسمتـــه أتراحـــى

كانـــت ملامحـــه تحـــول ، وضوءُ ه

يخبـــو ، وكـــان مهيّـــأ لرواح ٠٠

أدركـــت أنـــى ما انتهيـــت ، وإنمـــا

هـــى دورة الإمســـاء والإصبـــاح

* *

الشهـــرة

اسمـــى يردده الجميـــع ، وكلمـــا
شوهـــدت ضجّ النـــاس بالتصفيـــق
وبكـــل زاويـــة أرى متعجبـــا
من رؤيتـــى ، أو معجبـــاً بطريقـــى
ومشاكلى يسعـــى الجميـــع لحلها
ورغائبـــى موصولـــة التحقيـــق
حتـــى أتـــى اليـــوم الـــذى شاهدته
يمشـــى علـــى شط بغيـــر رفيـــق
كان اسمُـــه أقـــوى ، وكان طريقه
يزهـــو بألـــف مشجّـــع وصديـــق
ساءلتـــه : مـــاذا جرى ؟ فتقلصت
شفتـــاه ، واحتبـــس الأسى بالريـــق
مـــن يســـرق النيـــران من أربابها
لاينتهـــى أبـــداً بغيـــر حريـــق !

* *

الغربــة

الشارع الممتد .. لاتتوقف الخطوات
فيــه عــن التــوازى والتقاطـــغ
والأوجه المتحجرات تمرّ صارمة ،
ولاتعطــى التفاتتهـــا لضائــــع
وأقول : قد ألقى أخا من موطنـــى
يصغى إلى ماشفّ روحى من مواجع
فأراه لا .. لايستجيـــب ، وكلمـــا
حازينه، وهممت بالشكوى ، يسارع
فأعود للطرقات أذرعها وحين أدوخ ،
أخـــرج للضواحـــى والمـــزارع
حتى الطيور تشيح أوجهها وتسأل :
ما الذى ألقاه فى تلك المرابــع ؟!

* *

الجريمة

مهمــا غسلــت يديــك من آثارها
وأقمـــت جدرانــا على أسرارهــا
مهما دفعت الشك عنك ، ولــم تعد
فى قلــب دائــرة الظنــون ونارهــا
مهمــا جلســت مــع الذين تعوّدوا
أن يصدروا الأحكام فــى أخطــارها
فلسوف تبقى فى ضميرك صرخــة
تتجــاوب الأعمــاق باستنكـــارها
أنت الذى دبرّتها ٠٠ أنــت الــذى
نفذتهــا ، وكســرت كــل جــرارها
دمها علــى كفيــك ، جثتهــا على
كتفيك ، والسكيــن تحــت إزارهــا
فبأى وجـــه تلتقــى بصغارهـــا
وبأى درب تختفــى مــن ثارهـــا

* *

النـــدم

يصحو إذا هبط المساء ، وينثنــى
متسللا فــى الحلق مثــل الحنظـــل
هــذا اللعــاب المــر ، لاتمحــوه
زخات السحــاب ، ولاميــاه الجــدول
ويروح فى صدرى يغوص ، وكلما
قاومــت .. لــم يهدأ ولــم يتمهل
يقتادنى للأمس ، يأخذنـــى إلــى
بئر ، كســرت علــى ثراها معولى
ويظــل يرمقنـــى بنظــرة عاتــب
ويرج أعماقــى بصــوت مخجـــل
حتى أكاد مــن الضآلــة أنمحــى
وأغيب عــن يومــى وعن مستقبلى
وأرى الدموع تفيض من روحى كما
تهمى الشمـــوع على رخام الهيكــل

* *

الحــرب

الحــرب تبــدأ بالطبــول عزيــزة
وتزلـــزل الأرجــاء فــى إقدامها
يختـــال لون النصــر فى آمالهــا
ورؤى الغنيمـــه منتهــى أحلامهـــا
وإذا تأملــت الجنــود وجدتهـــم
يتشوقــون إلــى انكشــاف لثامهــا
والقــادة ازدانوا بباهــر زيهـــم
ومشواْ كما الطاووس نحو ضرامها
حتى إذا حمى الوطيس ، تساقــط
الجرحى، وسال الطين فوق عظامها
ومشى الردى بين الصفوف ومزقت
أظفــاره ماشــاء مــن أعلامهـــا
فإذا المســاء سجى ٠٠ تأوه جائع
وتكومــت ثكلــى علــى أيتامهـــا

* *

التاريخ

لاصدق إلا فى الردى ، أما الحياة
فكلهـا كـذب تقنـع بالبـراءه
نحـن الذيـن نقـص من أخبارنا
ونخـط أحلـى مانـرى إفشـاءه
نخفى رذائلنـا ، ونكتـب مثلهـا
عـن غيرنـا ، ونزيدهـن إساءه
فـإذا أتـى الجيل الذى من بعدنا
ورأى شواهدنـا تفـوق سمـاءه
ألقـى علينـا فى الظلام عبـاءة
حتـى يدارى عجـزه وغبـاءه
وسعـى ليبنـى مجـده بعظامنا
ويـدق فـوق حروفنـا إمضـاءه
يأتى ويذهب عابـرون ، وكلهـم
يرجـو ويأمـل أن يديم بقـاءه

* *

الخيانة

ما كنــت أحسب أن هذا النهر قــد
يتفجــر البركـــان مـــن أحشائـــه
أو أن هـــذا الـــروض يصبح فجأة
قبـــرا تئز الريـــح فـــى أرجائـــه
أو أن لـــون الشمـــس يغـــدو داكنا
ويحـــول وجـــه البـــدر بعد بهائه
حتى عرفــت الناقضيـــن عهودهم
والخائنيـــن الوعـــد قبـــل وفائـــه
والطاعنين الظهر فى قلب الضحى
والدافنيـــن الحـــى قبـــل قضائـــه
شاهدتهـــم .. فإذا الوجوه خرائب
وإذا العيـــون كما الزجـــاج الشائه
طبـــع الثعالـــب لاتنـــام قريـــرة
إلا إذا سرقـــت جـــراب التائـــه

*   *

المشيب

أقســـى عذابــك أن يعضــك جوع

والأكــل رغــم وجــوده ممنــوع !

وإذا اجتذبت هوى الحسان تخاذلت

منك الخطــى ، والقلب فيــك وجيع

وإذا رغبت تقاصــرت بــك قــدرة

عن أن تحقــق مـاتـــراه يضيــع

بدلـــت مـــن تلــك المحامد حكمة

وفطانــــة ، تشــرى بها وتبيــع

ولقــد تصيــر مبجــلا ومفخمــا

لكــن لــون الشعــر فيك صقيع !

مدحوا المشيب وأوغلوا فى مدحه

إن المريــض يخيفــه الترويــع !

ولو انصفوا وضعــوه فى أكفانــه

فالشيــب درب للوفـــاة سريـــع

* *

المــوت

لا شــئ يهــزم قــدرة الإنســـان
إلا حلــول المــوت فــى الأبــدان
يغتــال نضرتهــا ويطفــئ لونهــا
ويحيلهــا مــن عــزة لهــوان
أين العيون الساحـرات ؟ وأين من
طعناتهــا فــى أضلــع الفرسان ؟
أين الشباب؟ وأين من جولاتــه ؟
أيــن الصبا المهتــز كالأغصان ؟
أين العقول النافــذات ؟ وأيــن مــا
يحمـــى به السلطان من سلطان ؟
هذا الجــدار الصلــد كان ولم يزل
مستغلقا .. حتــى على الشيطان
كــل الذيــن تساقطــوا مــن خلفه
قبلــوا اختــزان السر فى إذعــان

* *

الذكــرى

صور من الماضى الجميل، وبعضها
صــور من الماضى الحزين الملهمِ
تغفو على الجــدران فــى أعماقنا
وتقيــم فى استغراقهــا المتكـــتِّم
حتــى إذا فاض الأســى بقلوبنــا
وتكســرت فيهــا مئــات الأسهــم
عدنا لهــا متهالكيــن من السُّرى
عدنــا لها نشكــو الزمان ونحتمى
فإذا بهــا تحنـــو علينــا رقـــة
وتضمنـــا بأمومـــة وترحـــم
هى قطعة منا ، يصارعهــا الردى
لكنهـــا شمـّاء لـــم تتهــدّمِ
وتظل فـــى الصحــراء واحــة تائه
ومـــع الليــالى الســود باقة أنجم

* *

الفهـــــرس

رقـــم الإيداع	٩٩ / ١٥٨٢٤

مطبعة العمرانية للأوفسيت

الجيزة - ت :٥٨١٧٥٥٠

صدر للشاعر :

* ديوان حامد طاهر ١٩٨٥
* ديوان قصائد عصرية ١٩٨٩
* ديوان النباحى ١٩٩١
(وهو عبارة عن ديوان متخيل بكامله من الشعر العربى القديم)
* ديوان عاشق القاهرة ١٩٩٢

تحت الطبع :

ثلاثة مسرحيات شعرية :

* درويش السقا
* أربعة رجال فى خندق
* الأشجار ترتفع من جديد

* * *